رمضان شهر العزة والتمكين
الكاتب : رابطة خطباء الشام
التاريخ : 5 يوليو 2015 م
المشاهدات : 8336

مقدمة:

تقرأ في هذه المادة كيف أن شهر رمضان شهر الجد والعمل، وشهر العزة والنصر، وكيف أن جلَّ انتصارات المسلمين كانت فر رمضان، وتقرأ فيها أيضاً كيف أن قواعد بناء الأمة واستجلاب النصر كان في رمضان من خلال التشريعات في غزوة بدر،

وتقرأ فيها ربط هذه التشريعات والتوجيهات بواقع المجاهدين اليوم من التعلق بالله، وعدم موالاة غير المسلمين، وصبر الناس على المجاهدين وعدم تخوينهم واتهاهم بغير دليل، وعدم التخذيل والتثبيط، وطاعة القاعد، والإعداد للمعركة، وترك التنازع، وغيرها.

فاللهم اجعلها مادة تنفع بها العباد والبلاد..

عناصر الخطبة:

1- رمضان شهر الجهاد.

2- ارتباط الصيام بالجهاد.

3- المعارك والغزوات التي حدثت في رمضان.

4- أمل بعد ألم.

1-رمضان شهر الجهاد

إن الصيام مصدر قوة روحية تدفع إلى العمل، واعتقاد المؤمن أنه يؤدي عبادة فرضها الخالق مما يمده بالروح الفَتِيّ والعزم القوى؛ لذلك كانت شهور رمضان أيام نصر حربي، وفوز نضالى، ففي مواسم هذا الشهر الكريم تحققت انتصارات إسلامية رائعة تبتدئ بمعركة بدر مرورا بمعارك كثيرة أشهرها فتح مكة والأندلس وحطين وعين جالوت حتى جاء نصر الله.

لذلك كان هذا الشهر يحفل على مد العصور بكبريات الوقائع الحربية الحاسمة في تاريخ الاسلام؛ ومن يتصفح كتب التاريخ، أو يقلب أوراقه تبرز أمامه صورة مشرقة لشهر عظيم، صورة غابت عن الأعين لفترة زادت عن المئة عام وأصبح من الصعب على العقل أن يتصورها بعد أن بعدت الشقة بينه وبين مثيلاتها منذ فترة طويلة.

تلك هي الصورة المشرقة التي اتسمت بالعزة والكرامة والسؤدد والبسالة والانتصارات والفتوحات والتقوى والمغفرة. فالأمر لا يحتاج من الناظر إلى التدقيق والإمعان في كتب التاريخ حتى يصل إلى هذه الصورة المشرقة بل يكفيه التصفح السريع أو النظرة العاجلة؛ ليدرك ما في هذا الشهر من الأحداث و البطولات التي نعلمها والتي لا نعلمها والتي تتسم بأنها أحداث عظيمة على قدر فضل شهر رمضان، فإذا قلنا أن رمضان شهر الجهاد فهو قول يحمل مصداقه التاريخي دون جدال.

ويأتي رمضان هذا العام والأمة تنزف في مواطن كثيرة، فهذا جرح سورية الغائر، وذاك جرح العراق النازف، وجرح ثالث في اليمن، ورابع في بورما، وخامس في فلسطين... وما يبرح أن ينزف جرح جديد حتى يلحق به جرح أخر، ولما كان غزو أفغانستان من قبل أمريكا ظهرت بعض الأصوات لتقول لأمريكا بأن رمضان قادم ويجب أن نراعي حرمته فلا نغزو المسلمين، قال بوش متبجحا إن الدولة الإسلامية كانت تخوض المعارك في شهر رمضان ـ وصدق وهو كذوب ـ وعلى وقع دماء اليوم التي ما زالت تسيل، نعود لنذكر بدماء زكية طاهرة سالت بالأمس, وآلت هذه السيول إلى العز والتمكين, ليكون هذا التذكير بإذن الله فيه النفع للمسلمين, وليس صحيحا أن حدوث تلك الانتصارات المدوية والتاريخية في شهر رمضان «مجرد صدفة»، كما يردد بعض المرجفين، فالصدفة لا وجود لها في تدابير خالق الكون الذي يقول عن نفسه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ).

2-ارتباط الصيام بالجهاد

ارتبط شهر رمضان بالجهاد بشكل لافت للنظر، حتى آيات الصيام في سورة البقرة ـبدايةً من قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) [البقرة: 183] إلى آخر الآيات ـ تنتهي في ربع من القرآن، ثم يبتدئ ربع جديد، وثاني آية فيه تتحدَّث عن الجهاد والقتال، وهي آيات كثيرة تحضُّ على الجهاد، يقول ربنا عز وجل: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)[البقرة: 190-193].

آيات تحضُّ على الجهاد والقتال بشدَّة، والعلاقة واضحة بينها وبين آيات الصيام؛ فالإعداد للجهاد هو إعداد للنفس، إعداد للجسد، إعداد للأمة كلها.. العلاقة بين الصيام والجهاد وثيقة جدًّا؛ فالتاريخ الإسلامي يؤكد هذا الارتباط.

3-المعارك والغزوات التي حدثت في رمضان

غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة:

ففي رمضان من السنة الثانية للهجرة خرج المسلمون بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعترضوا قافلة لقريش يقودها أبو سفيان، ولكن أبا سفيان غَيّرَ طريقه إلى الساحل واستنفر أهل مكة، فخرجوا لمحاربة المسلمين والتقى الجمعان في بدر في السابع عشر من رمضان سنة اثنتين للهجرة، ونصر الله رسوله والمؤمنين رغم قلة عددهم وعدتهم فقد كانوا ثلاثمائة وأربعة عشر وكان المشركون أكثر من ألف وأثمرت نتائج النصر ثماراً كثيرة، فقد ارتفعت معنويات المسلمين وعلت مكانتهم عند القبائل التي لم تسلم بعد، واهتزت قريش في أعماقها وخسرت كبار صناديدها وأعمدة الكفر فيها، وأخذت تعد للثأر والانتقام.

وخلال سنة تحققت للمسلمين في المدينة عوامل أمن خارجية وداخلية فقبائل غطفان وسليم التي كانت تعد لمهاجمة المسلمين بلغها انتصار المسلمين في بدر وتحركهم بعد ذلك لضربها، فخافت وتركت ديارها وخلفت غنائم كثيرة للمسلمين، كما أُجْلِيَ بنو قينقاع إحدى قبائل اليهود لكيدهم بالمسلمين وعدوانيتهم.

كانت تلك الغزوة فرقانا بين الحق والباطل، تلك الغزوة التي جعلت للمسلمين كيانا مهابا وجانبا مصونا . وبعد هذه الغزوة أصبح للمسلمين كيان ماثل لأعين الكفار يحسبون له ألف حساب ولا يجرؤون على تجاهله، بعد أن كانوا مستضعفين لا يكترث بهم بل ويستهان بهم، أصبحوا بعدها قوة ضاربة يهابها الكفار، فكانت تلك الحادثة عرساً حقيقياً في رمضان وفرحاً صادقاً للمسلمين في شهر الفرقان.

لقد وُضِعَتْ قواعد بناء الأمة الإسلامية في غزوة بدر:

ففيها عرف المسلمون أن النصر من عند الله وليس بالعدد ولا العدة، فلا يصلح لأمة بعيدة عن ربها، وبعيدة عن دينها أن تنتصر؛ واقرأوا سورة الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر: (وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [الأنفال: 10].

كيف يمكن لجيش صغير قليل عدده، معه فَرَسَان وسبعون بعيراً، خرج بسلاح المسافر، أن يهزم جيشاً عظيماً معه مائة فارس، وسبعمائة بعير، خرج بسلاح الجيوش؟!!.

كيف يمكن لهذا العدد القليل في كل المقاييس المادية أن يغلب هذا العدد الكبير؟

هذا كله لم يكن إلا لأن الله هو الذي نصر المؤمنين، نصر الضعفاء القلَّة الأذلة؛ كما عبَّر ـسبحانهـ في كتابه الكريم، انتصروا بأسلحة غير تقليدية تمامًا، لم ينتصروا بأسلحة دمار شامل، أو صواريخ باليستية، أو أقمار صناعية، انتصروا بالمطر والنعاس، وبالرعب في قلوب الكافرين، وبالتوفيق في الرأي عند المؤمنين، وبضعف الرأي عند الكافرين، ونزلت الملائكة تحارب مع المؤمنين في بدر، وعلى رأسهم أفضلهم وأشرفهم جبريل ـعليه السلامـ: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال 12– 13)

كان هذا يوم أن كان المؤمنون أولياء لله لا للذين كفروا، عند ذلك كان الله مولاهم وناصرهم وألقى في قلوب أعدائهم الرعب، واسمع كلام الله عن هذا، قال رب العزة في سورة آل عمران: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ *بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ * سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ *)(آل عمران 149–151)

راجعوا غزوة بدر؛ ففيها زُرِعَ الأمل في نفوس المسلمين إلى يوم القيامة؛ ما دام الله معك فالنصر ـلا شكـ حليفك، قواعد وأسس وأصول وُضِعَتْ في غزوة بدر.

وقاعدة وحدة الصف وضعت أيضاً في بدر، قال ربنا سبحانه: (وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: 46).

فلا تتنازعوا يا قادة الفصائل فتفشلوا، لا تنازعوا فدماء الشهداء تستنهض هممكم، لا تنازعوا فآلاف الأسارى تنادي ضمائركم، لا تنازعوا فعشرات آلاف الأرامل والثكالى تنتظر شفاء صدورها من عدوكم على أيديكم، لا تنازعوا فملايين المهجرين تلهج ألسنتهم بالدعاء ينتظرون ساعة عرس نصركم، لا تنازعوا فالأمة كلها ترمق ساعة ظفركم، إنه نداء الله الخالد إلى قيام الساعة : (وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ..) (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(الأنفال: 46)

فقاعدة الصبر وضعت في بدر وهي إلى قيام الساعة، اصبروا أيها المجاهدون، واصبروا أيها الناس وحنانيكم على مجاهديكم، لا تستعجلوا النتائج، ولا ترموا أبنائكم من المجاهدين بالعمالة والخيانة من غير دليل، لا تكن ألسنتكم حدادٌ عليهم، واسوهم وأعينوهم وقدموا العون لهم بقدر ما تستطيعون، (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ..) (التوبة 91)

إياكم أيها الناس أن تكونوا من المعوقين والمخذلين فيحبط الله أعمالكم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)(الأحزاب:19)

لا تكونوا من المثبطين الظالمين الذين (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) التوبة 47

إن النصر لايكون إلا بالإخلاص لله، وابتغاء رفع راية لا إله إلا الله، وغير ذلك مصيره الفشل والخسران، وبالتالي مزيد من

الشهداء والدمار والتهجير، وهذا ما تقرر في غزوة بدر وهو إلى قيام الساعة، (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (الأنفال:46-47).

والتضحية بكل شيء؛ بالنفس والمال، بالوقت والجهد؛ ليتم النصر، هذه القاعدة وضعت أيضًا في بدر.

والإعداد قدر المستطاع لمواجهة الأعداء قاعدة وضعت في بدر، قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)(الأنفال:60)،

وطاعة القائد أس من أسس النصر وهذا أيضاً تقرر في بدر؛ (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال:24)،.

كل قواعد بناء الأمة الإسلامية وُضعت في بدر، كل هذه القواعد نتعلمها في رمضان، نقترب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي بيده النصر في رمضان، نزيد من أواصر المودة والأخوة بين المسلمين، وهي قاعدة من أهم القواعد التي تبني الأمة الإسلامية، تضحّي بمالك وجهدك ووقتك في رمضان، تقوّي صحتك وبدنك ولياقتك في رمضان.. وبإيجاز يكون الجهاد والإعداد له في رمضان.

وكم نخسر عندما نفقد هذه المعاني، ويمر الشهر علينا من غير أن نعرف قيمته في الجهاد في سبيل الله.

فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة:

في سنة 8هـ كان الموعد مع حدث من أهم أحداث التاريخ، إنه فتح مكة، اللقاء الأخير والفيصل مع مشركي قريش؛ فقد خرج الرسول وجيش المؤمنين من المدينة المنورة قاصدًا مكة في العاشر من رمضان سنة 8هـ، وفتحها في الحادي والعشرين من رمضان.

والموقف في فتح مكة مختلف عن بدر؛ ففي غزوة بدر كان الخروج في رمضان على غير اختيار المؤمنين؛ لأن القافلة المشركة بقيادة أبي سفيان جاءت في ذلك التوقيت فخرجوا لها، لكن الخروج في فتح مكة كان بتخطيط وتدبير من رسول الله ومن المؤمنين، كان من الممكن أن يُؤَخِّروا الخروج ثلاثة أسابيع فقط ليخرجوا في شوال بعد انتهاء رمضان، كان من الممكن أن يقول بعضهم: نستفيد بالصيام والقيام وقراءة القرآن، ونُؤَخِّر الجهاد ثلاثة أسابيع فقط.. لكن كل هذا لم يحدث،

فرمضان شهر الجهاد، ليس فيه تعطيل للقتال، لا توجد به راحة للمؤمن،لم يؤخر رسول الله الجهاد بل أفطر وجاهد؛ لأن الجهاد متعين الآن، أما الصيام فيمكن قضاؤه بعد ذلك، ولكن الجهاد لا يُؤَخَّر؛ فهو ذروة سنام الإسلام.

إن أول صدام حقيقي مع مشركي قريش كان في رمضان في غزوة بدر، وآخر صدام مع المشركين كان ـ أيضًا ـ في رمضان في فتح مكة، فالأمر ليس صدفة؟! قال سبحانه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر:43)

ودخل الرسول الكريم وهدم صنم هبل، ومعه أكثر من ثلاثمائة وستين صنمًا بداخل الكعبة المشرفة، وهذه الأصنام ظلت داخل الكعبة سنين طويلة تعبد من دون الله، يختار أن تُدَمَّر وتكسر وتقع في شهر رمضان.

- في الشهر نفسه بعث الرسول خالد بن الوليد ليهدم صنم العزى، فهدمها.
- في الشهر نفسه بعث عمرو بن العاص ليهدم صنم سواع، فهدمه.
- في الشهر نفسه بعث سعد بن زيد ليهدم صنم مناف، فهدمه.

إنه شهر إعزاز الإسلام، وتمكين الدين، ونصر المؤمنين، ورفع راية التوحيد، رمضان شهر الإنقاذ والنجدة والنصر والعزة، فلا يصح ألا يعلم المسلمون هذه المعاني، ويظنون أنه شهر الأعمال الفنية الجديدة، والدورات الرياضية، والخيم الرمضانية، ليس هذا هو رمضان الذي يريده ربنا سبحانه وتعالى.

فتح (البُوَيْب) في السنة 13 هجرية:

أما في سنة 13هـ فحدث في منتهى الأهمية، إذ استطاع المسلمون في موقعة البويب بقيادة البطل الإسلامي الفذ المثنى بن

الحارثة، وكان عدد المسلمين في هذه الموقعة 8 آلاف فقط، والفرس مائة ألف بقيادة (مهران) وهو من أعظم قُوَّاد الفرس، وتم اللقاء في الأسبوع الأخير من شهر رمضان سنة 13هـ، ودارت موقعة من أشدِّ مواقع المسلمين، أمر فيها المثنى جنوده أن يُفطروا؛ ليتقوَّوا على قتال عدوهم، اقتدى بفعل الرسول في فتح مكة، وثبت المسلمون ثباتًا عجيبًا، وأبلى المثنى وبقية الجيش بلاءً حسنًا، وتنزَّلت رحمات الله وبركاته على الجيش الصابر، فانتصر المسلمون انتصارًا رمضانيًّا هائلاً.

تُرى كم من الفرس قُتل في هذه الموقعة؟!

فني الجيش الفارسي بكامله في هذه الموقعة، تجاوز القتلى تسعين ألف فارسي من أصل مائة ألف، هزيمة مروعة للجيش الفارسي بعد شهر واحد من هزيمة المسلمين في موقعة الجسر. ولنفكر ونتدبَّر كيف لثمانية آلاف أن يهزموا أكثر من تسعين ألفًا، وفي عُدة أضعف من عدتهم، وفي عقر دارهم، كيف يحدث هذا؟ لن تعرف تفسيرها أبدًا إلاَّ أن تقول: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} [الأنفال: 17]. هذا هو التفسير الوحيد لهذه الموقعة، التي لا تُنْسَى في التاريخ الإسلامي.

فتح الأندلس:

ويتسلسل بنا التاريخ لنصل إلى رمضان سنة 91هـ، ليفتح المسلمون أولى صفحاتهم في سِفْر الأندلس الضخم، في رمضان سنة 91هـ تنزل الفرقة الاستكشافية المسلمة التي أرسلها موسى بن نصير ـرحمه اللهـ بقيادة طريف بن مالك رحمه الله؛ لاستكشاف الأندلس.

وفي رمضان سنة 92هـ يلتقي المسلمون ـوهم اثنا عشر ألف رجلـ بقيادة طارق بن زياد رحمه الله بمائة ألف إسباني صليبي بقيادة رودريك، وتكون معركة هائلة داخل أرض الإسبان وفي عقر دارهم، والفارق هائل في العدد، ومع ذلك انتصر المسلمون فيها، وقد استمرت ثمانية أيام متصلة؛ ليبدأ المسلمون قصة طويلة في الأندلس استمرت أكثر من 800 سنة، هذا الانتصار الباهر كان في رمضان سنة 92هـ، وراجعوا ذلك في فتح الأندلس أو موقعة وادي برباط، فهي معجزة عسكرية بكل المقاييس، تغيَّر على إثرها كل تاريخ المنطقة في شمال إفريقيا وفي غرب أوربا، بل تاريخ أوربا كله.

أما عن جهاد صلاح الدين الأيوبي ـرحمه اللهـ فحدث ولا حرج؛ إذ ما كان يُفَرِّق بين رمضان وبين أي شهر من شهور السنة، كل الشهور عنده جهاد، ليست هناك راحة، فما أن انتهى من حطين وفتح بيت المقدس اتجه مباشرة إلى حصار صور في التاسع رمضان سنة 583هـ.

معارك متصلة في كل شهر إلى أن حرَّر ـرحمه اللهـ صفد في رمضان سنة 584هـ، بعد سنة من حطين، وعندما كان بعض الوزراء يعرضون عليه تأجيل القتال بعد شهر الصوم، كان ـرحمه اللهـ يرفض ويصر على الجهاد.

عين جالوت:

وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ حدثت الموقعة التي هزَّت الأرض بكاملها موقعة عين جالوت، وفيها كان الانتصار الإسلامي الباهر بقيادة سيف الدين قطز ـرحمه اللهـ على جحافل التتار، وكانت جيوش التتار تنتصر على جيوش المسلمين انتصارات متتالية بلا هزائم ولسنوات عديدة، مذابح من أبشع مذابح التاريخ، إبادة لكل ما هو حضاري، تدمير لكل شيء في البلاد الإسلامية، من أول يوم دخل فيه التتار في أرض المسلمين سنة 616هـ وإلى سنة 658هـ؛ 42 سنة متصلة وصل المسلمون فيها إلى أدنى درجات الذل والهوان، ثم تغيَّر الوضع، وعادت الكرامة والعزة للمسلمين مرة أخرى في رمضان سنة 658هـ، وليس كأي انتصار؛ لقد فني جيش التتار بكامله.

إننا نلاحظ شيئًا عجيبًا جدًّا بعد هذه الرحلة التاريخية في رمضان!

فقد انتصر المسلمون تقريبًا على كل الفرق المعادية للإسلام في شهر رمضان، انتصرنا على المشركين في بدر وفتح مكة، انتصرنا على الفرس عُبَّاد النار في البُوَيْب، انتصرنا على الصليبيين في وادي برباط في الأندلس، وأيام صلاح الدين في فتح صفد، وانتصرنا على التتار في عين جالوت،

وفي رمضان سنة 31 هجرية كان فتح بلاد النوبة.

وفي رمضان سنة 114 هجرية كانت بلاط الشهداء.

وفي رمضان سنة 223 هجرية كان فتح عمورية.

وفي رمضان سنة 658 هجرية كان عين جالوت في فلسطين.

وفي رمضان سنة 702 هجرية كان فتح شقحب.

وفي رمضان سنة 829 هجرية كان فتح قبرص في عهد المماليك.

وبهذا نعلم مدى أهمية وارتباط شهر الصيام بالجهاد في سبيل الله، كيف لا ورمضان جهاد للنفس والروح والبدن، والجهاد في سبيل الله أيضا جهاد للنفس والروح والبدن والمال، فإذا ارتبطا ببعض كان ذلك أقوى للمؤمن وأكثر رفعا لمعنوياته وأشد تثبيتا سيما أن الوجهة واحدة وهي ابتغاء رضوان الله تعالى.

4-أمل بعد ألم:

إن المجاهدين المخلصين في كل زمان ومكان قادرون ـ بتوفيق من الله ـ على صنع النصر من رماد الهزيمة، وبناء المصر والحضارة الراقية في خرائب العدوان، وزرع حدائق العلم والنور في ظلمات الجهل، إذا وجدوا مَن يُحسن قيادتهم، ويضرب لهم المثل والقدوة، ويتميز بالتضحية والشجاعة والإخلاص لله تعالى، ويُغلّب همَّ إعلاء كلمة هذا الدين على مصالحه الشخصية البالية الفانية، لكن إذا هانوا واستكانوا كانوا قصعة مستباحة لكل الأدعياء قبل الأعداء، واللهَ نسأل أن يردَّ هذه الأمة إلى دينها ردًّا جميلاً، إنه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

المصادر: